إعادة إعمار تراث الموصل

نتائج استطلاع الرأي العام

الباروميتر العربي
ARAB BAROMETER
ADI
ALFRED DEAKIN INSTITUTE FOR CITIZENSHIP AND GLOBALISATION
DEAKIN UNIVERSITY
Penn Arts & Sciences
University of Pennsylvania
Australian Government
Australian Research Council

تم تمويل هذا المشروع من قبل مجلس البحوث الأسترالي (رقم المنحة: DP200101468).

أجرى هذا المشروع باحثون من معهد ألفريد ديكن في جامعة ديكن وكلية الآداب والعلوم في جامعة بنسلفانيا بالشراكة مع الباروميتر العربي وجامعة برينستون والشركة المستقلة (IIACSS) ومقرها العراق.

نشرته جامعة ديكن
© 2024 جامعة ديكن وجامعة بنسلفانيا

الرقم المعياري الدولي للكتاب: 978-0-7300-0241-3

الاقتباس المقترح:عيسى خان، ب. ومسكيل، ل. (2024). إعادة إعمار تراث الموصل: نتائج استطلاع الرأي العام. ملبورن:جامعة ديكن.

تصميم وتخطيط التقرير: إيلينور تشايلدز.
ترجمة التقرير للعربية: شذى بطاينة.

جميع الصور المزودة من آي ستوك وشترستوك مغطاة باتفاقيات الترخيص التحريرية والقياسية، وجميع الصور المزودة من أونسبلاش متاحة للاستخدام الحر. يتم توفير الاعتمادات لكل صورة للمصور والمنصة.

الغلافان الأمامي والخلفي: رجل يسير بين أنقاض مطرانية السريان الأرثوذكس المتضررة بشدة في الموصل (جول كاريليت/ آي ستوك، أيار 2017).

للتواصل

البروفيسور بنجامين عيسى خان benjamin.isakhan@deakin.edu.au

جدول المحتويات

المحتويات

.03
الملخص التنفيذي

.05
الخلفية

.09
ملخص المشروع

.10
المنهجية

.11
التركيبة السكانية الرئيسية

.14
نتائج الاستطلاع

.25
التوصيات

.30
الخاتمة

.33
الملاحظات الختامية

.34
المراجع

.35
شكر وتقدير

الملخص التنفيذي

في أعقاب الدمار الذي ألحقه تنظيم الدولة الإسلامية بمدينة الموصل شمالي العراق، تم البدء بمبادرات مختلفة لإعادة إعمار المواقع التراثية في المدينة. إلا أن هذه المشاريع يتم تصميمها وتنفيذها في الغالب من قبل منظمات أجنبية، والعديد منها لديه معلومات محدودة عن وجهات النظر المحلية تجاه مواقع التراث ودمارها.

لقد بدأ عدد من الجهود الدولية لإعادة إعمار التراث في الموصل على افتراض أنها ستحظى بدعم السكان المحليين.

يلخص هذا التقرير إجابات الاستطلاع الذي أجري ل1600 فرد من سكان الموصل الذين سُئلوا عن مواقفهم تجاه التراث.

تشير النتائج إلى أن الغالبية العظمى من سكان الموصل أعربوا عن اعتزازهم الكبير بالتراث الثقافي الغني للعراق، وشعروا بالظلم بسبب تدمير المواقع التراثية أثناء الصراع الأخير، ويرغبون برؤية تراثهم على حالته السابقة.

ومع ذلك، يقترح الاستطلاع أربع توصيات رئيسية للمشاريع الحالية والمستقبلية لإعادة إعمار التراث في الموصل.

1) إعادة إعمار التراث ليست الأولوية الرئيسية

لا ينبغي لإعادة إعمار التراث أن تكون لها الأسبقية على الأولويات الأخرى الملحة مثل المساعدات الإنسانية والأمن والتنمية والبطالة والصحة والتعليم وإعادة السلام.

2) عدم التغاضي عن المواقع التراثية المحلية أو الدينية

قد تكون إعادة إعمار المواقع الدينية المحلية بنفس أهمية إعادة إعمار المباني التراثية الشهيرة أو المواقع الأثرية التي لا تتم زيارتها بشكل متكرر من قبل السكان المحليين ولها أهمية شخصية أقل لديهم.

3) "أصالة" أقل ومرافق أكثر حداثة

ينبغي أن تحوّل عمليات الترميم المواقع المتضررة إلى مراكز مجتمعية جديدة وأكثر فائدة.

4) منح العراقيين حق التحكم في مستقبل تراثهم

يجب على الجهات الأجنبية ضمان الوكالة والسيطرة المحلية على مستقبل التراث، بما في ذلك جميع أعمال إعادة الإعمار الكبرى.

الخلفية

في حزيران 2014، استولى تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) على مدينة الموصل شمالي العراق، وأعلن إنشاء دولة خلافة جديدة.

وكما فعلوا في أنحاء العراق وسوريا، أطلق تنظيم داعش العنان لموجة من الدمار والمعاناة الإنسانية في الموصل، من قتل جماعي واستعباد وتعذيب وتهجير قسري لآلاف المدنيين. خلقت هذه الأحداث أزمة إنسانية وأمنية مستمرة أدت إلى تدخلات من جيوش أجنبية.

وبالإضافة إلى الفظائع التي ارتكبت ضد المواطنين العراقيين الأبرياء، استهدف تنظيم الدولة الإسلامية عدداً لا يحصى من المواقع التراثية الثقافية في جميع أنحاء الموصل. على سبيل المثال، تصدر تنظيم الدولة الإسلامية عناوين الأخبار الدولية عندما نشر مشاهد لمسلحين يدمرون قطع أثرية وتماثيل في متحف الموصل.

أطلال مرقد النبي يونس في الموصل، المعروف أيضاً باسم ضريح النبي يونس، الذي دمره تنظيم الدولة الإسلامية (لينا ها/شترستوك)

كما أثار تنظيم الدولة الإسلامية غضباً عالمياً عندما فجر عبوات ناسفة في مواقع أثرية، بما في ذلك مدينة نمرود الآشورية (كالح)، مما تسبب في أضرار لا يمكن إصلاحها.

إلى جانب هذه الهجمات المعروفة، كانت هناك حملة مكثفة وعنيفة استهدفت مواقع تحمل أهمية كبيرة لمجموعات دينية مختلفة مثل الكنائس المسيحية والمساجد السنية والشيعية والمعابد الإيزيدية. كما قام تنظيم داعش بتدمير عشرات الأسواق التاريخية والمكتبات العامة والمدارس والجامعات، فضلاً عن المقابر والأضرحة.

رداً على الحجم الهائل والنطاق غير المسبوق لتدمير التراث الذي ارتكبه تنظيم الدولة الإسلامية، قامت العديد من الدول الأجنبية والمؤسسات متعددة الأطراف والمنظمات غير الحكومية الدولية باستثمار الوقت والموارد في جهود طموحة للحفاظ على التراث وإعادة إعماره في جميع أنحاء الموصل.

من أكبر المبادرات حتى الآن هو المشروع الرئيسي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) بعنوان "إحياء روح الموصل".

أشرفت هذه المهمة التي مدتها خمس سنوات، والتي بدأت في شباط 2018، على تنفيذ العديد من جهود إعادة إعمار التراث التي تقودها اليونسكو داخل الموصل وفي المناطق المحيطة بالمدينة (اليونسكو، 2018).

إلى الآن، تم تقديم أكثر من 100 مليون دولار أمريكي لتمويل المشروع، وتشمل الجهات الممولة مؤسسات بارزة متعددة الأطراف مثل الاتحاد الأوروبي (EU) وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP)، بالإضافة إلى حكومات بعض الدول كالإمارات العربية المتحدة وألمانيا واليابان وهولندا وحكومة فلاندرز الإقليمية (بلجيكا).

القبة المركزية للجامع الكبير النوري في الموصل بعد إحدى تفجيرات تنظيم الدولة الإسلامية في عام 2017 (كريس بوك/شترستوك، تشرين الثاني 2018)

من الجهود الخارجية البارزة الأخرى ما يلي:

- مشروع "فسيفساء الموصل"، المصمم لترميم كنائس المدينة ومساجدها بتمويل من التحالف الدولي لحماية التراث في مناطق النزاع (أَلِف)، وبالشراكة مع فرنسا وإيطاليا (أَلِف، بدون تاريخ)؛
- مسعى مدته خمس سنوات بعنوان "إعادة تأهيل متحف الموصل"، تحت رعاية مؤسسة سميثسونيان ومتحف اللوفر وأَلِف والصندوق العالمي للآثار والتراث (WMF) (كورين، 2021)؛
- عدد من المشاريع الممولة من قبل صندوق الحماية الثقافية في المملكة المتحدة، بما في ذلك دورة تدريبية مدتها أربع سنوات للمواطنين العراقيين حول توثيق واستقرار وإعادة إعمار المواقع التراثية التي دمرها تنظيم الدولة الإسلامية (المتحف البريطاني، بدون تاريخ)؛
- مشاريع وزارة الخارجية الأمريكية، بما في ذلك "مشروع إنقاذ آثار النمرود" بالشراكة مع مؤسسة سميثسونيان (جونسون وآخرون، 2020).

لدى كل من مبادرات ترميم التراث هذه القدرة على المساهمة في تعزيز السلام والاستقرار في مرحلة ما بعد داعش في الموصل.

إلا أنه في ضوء تعدد المشاركات الأجنبية وتنوع أصحاب القرار الدوليين الذين يساهمون في مشاريع التراث، يجب تقييم فعالية المشاريع وشرعيتها بشكل علني.

الجزء الخارجي من كنيسة أرمنية دُمّرت أثناء احتلال داعش للموصل
(جول كاريليت/آي ستوك)

ولذلك سعى هذا المشروع إلى قياس مدى توافق الرأي العام المحلي حول التراث مع المشاريع الهامة التي تقوم بها مختلف الجهات الخارجية لترميم وإعادة إعمار تراث الموصل.

ملخص المشروع

درس هذا المشروع الرأي العام المحلي حول التراث وتدميره وإعادة إعماره في مدينة الموصل العراقية، وفحص مدى تقارب هذا الرأي أو تباعده عن تصرفات الدول الأجنبية والمنظمات غير الحكومية الدولية والمؤسسات متعددة الأطراف التي تعمل على إعادة إعمار المواقع الثقافية في المدينة.

من خلال استطلاع آراء سكان الموصل، يهدف المشروع إلى تحديد: كيفية تعامل الأفراد مع تراثهم وتقديرهم له، وتجاربهم وتفاوتها أثناء تدميره، ووجهات نظرهم حول مشاريع إعادة الإعمار، ومدى دعمهم لأعمال الترميم الموجهة من جهات أجنبية.

قام المؤلفون بتصميم الاستطلاع بالتعاون مع علماء من الباروميتر العربي. أجري الاستطلاع باللغة العربية ووجهاً لوجه من قبل الشركة المستقلة (IIACSS) ومقرها العراق.

تم إجراء الاستطلاع في عام 2021، بدءاً من 25 آذار لغاية 4 نيسان، مع إجمالي 1600 مشارك.

وقد تم تصميمه لالتقاط مقطع عرضي من سكان الموصل البالغين، بما في ذلك جميع المواطنين الذين تزيد أعمارهم عن 18 عاماً والذين كانوا يعيشون في المدينة في وقت إجراء الاستطلاع.

لاحترام خصوصية المشاركين وحماية سلامتهم، ستبقى هوياتهم مجهولة وغير قابلة للتعرف. تم إجراء الاستطلاع وإدارته وفقاً للمعايير الأخلاقية للجنة أخلاقيات البحث بجامعة ديكن بأستراليا.

مع أن الاستطلاع صُمّم للحصول على ردود من عدد كبير ومتنوع من المشاركين الذين ينحدرون من الموصل، إلا أن نتائج البحث لا يمكن تعميمها على كافة سكان الموصل والبيانات التي تم جمعها لا تعادل "رأي عام" موحّد يمكن أن يعزى إلى كامل المقطع العرضي لتركيبة الموصل السكانية.

المنهجية

تضمّن الاستطلاع 60 سؤالاً مختلفاً حول ستة مواضيع مترابطة:

الجزء الأول: الارتباط بالتراث (10 أسئلة)

فحص طبيعة علاقة المشاركين مع تراثهم، بما في ذلك عدد المرات التي زاروا فيها المواقع ومدى تقديرهم للمواقع التراثية باختلاف أنواعها وأماكنها.

الجزء الثاني: تدمير التراث (10 أسئلة)

دراسة كيفية تفاعل المشاركين مع تدمير المواقع التراثية، وفحص ردود أفعالهم تجاه التدمير ومدى تباينها مع اختلاف أنواع المواقع.

الجزء الثالث: إعادة إعمار التراث (10 أسئلة)

دراسة نظرة المشاركين إلى مشاريع إعادة إعمار التراث المختلفة في أنحاء الموصل، بما في ذلك كيفية النظر إلى هذه الجهود في سياق نطاق أوسع للاحتياجات الإنسانية وكيف تتماشى المبادرات مع ما يفضله السكان المحليون.

الجزء الرابع: الجهات الحكومية (5 أسئلة)

تقييم كيفية تصوّر المشاركين للدور الذي تلعبه الحكومة العراقية في حماية التراث وإعادة إعماره، ومدى رغبتهم في استلام الحكومة العراقية مهمة إدارة مشاريع إعادة التأهيل المستمرة للمواقع التراثية في الموصل.

الجزء الخامس: الجهات الفاعلة الدولية (7 أسئلة)

تقييم كيفية تصوّر المشاركين للدور الذي تلعبه الجهات الفاعلة الدولية في حماية التراث وإعادة إعماره، ورأيهم حول من يرغبون في رؤيته مسؤولاً عن إدارة مشاريع إعادة التأهيل المستمرة للمواقع التراثية في الموصل.

الجزء السادس: التركيبة السكانية (16 سؤالاً)

الحصول على البيانات الديموغرافية الرئيسية عن المشاركين.

التركيبة السكانية الرئيسية

كشفت الردود على الجزء السادس من الاستطلاع عن التركيبة السكانية الرئيسية ل1600 مشارك من سكان الموصل. [1]

العمر

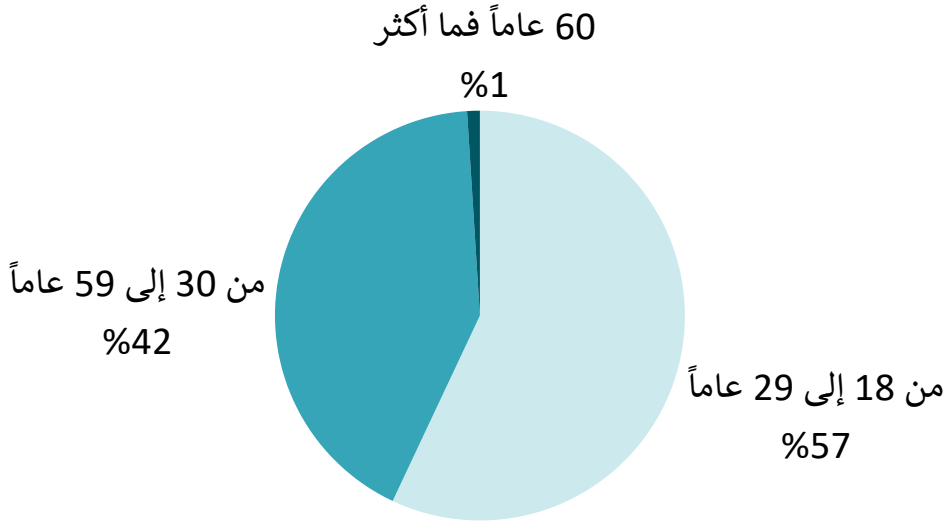

الحالة الاجتماعية

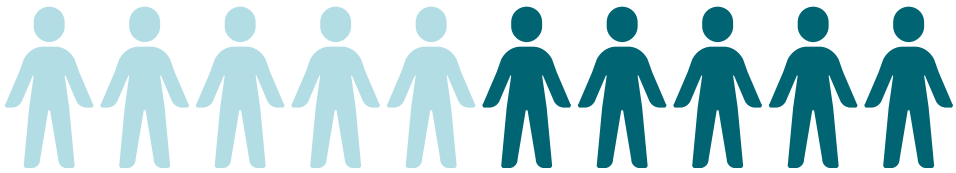

الجنس

الهوية العرقية

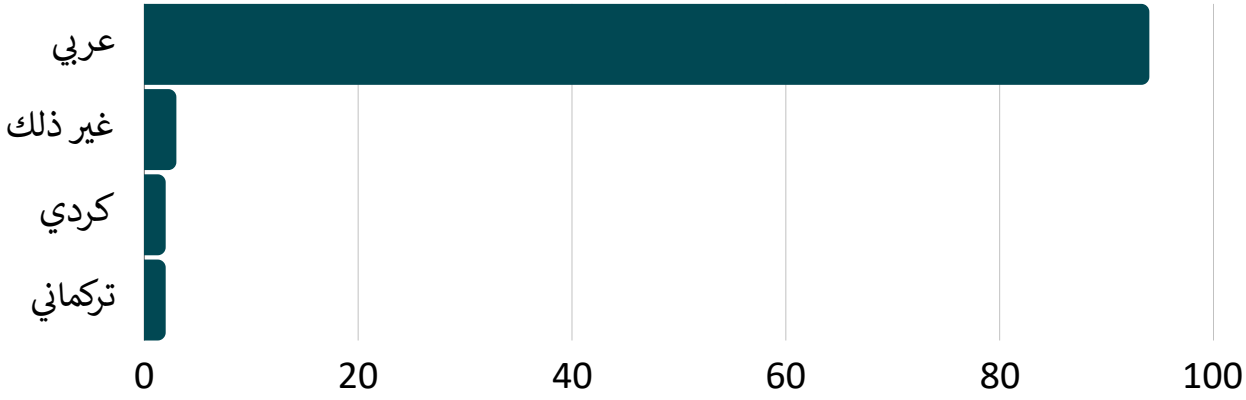

الهوية الدينية

مستوى الالتزام الديني

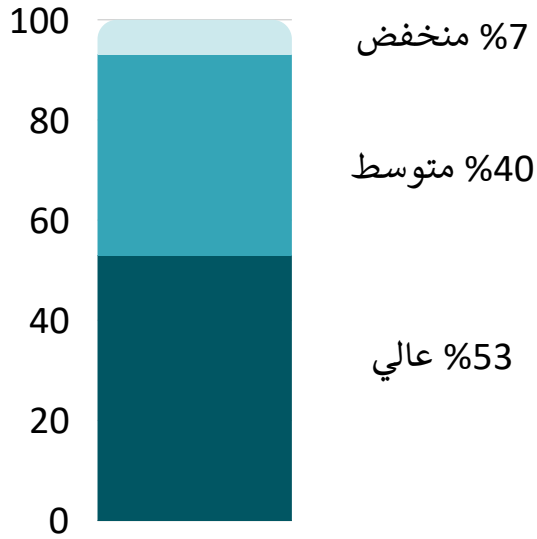

مستوى الإخلاص الديني

96% محافظة عالية على الممارسات و/أو المبادئ الدينية

أعلى مستوى تعليمي

63% أنهوا المرحلة الثانوية

الحالة الوظيفية

75% عاطلين عن العمل
[2]

نتائج الاستطلاع

الجزء الأول: كيف يقدّر سكان الموصل تراثهم ويتفاعلون معه؟

عندما طُلب منهم الرد على عبارة: أنا فخور جداً بالتراث الثقافي الغني لهذا البلد، الأغلبية العظمى من المشاركين أجابوا ب"أوافق بشدة" (74%) أو "أوافق" (19%)، مقارنة بعدد صغير لم يوافق (7%). انظر الشكل 1. [3]

الشكل 1. هل توافق على العبارة التالية: "أنا فخور جداً بالتراث الثقافي الغني لهذا البلد؟"

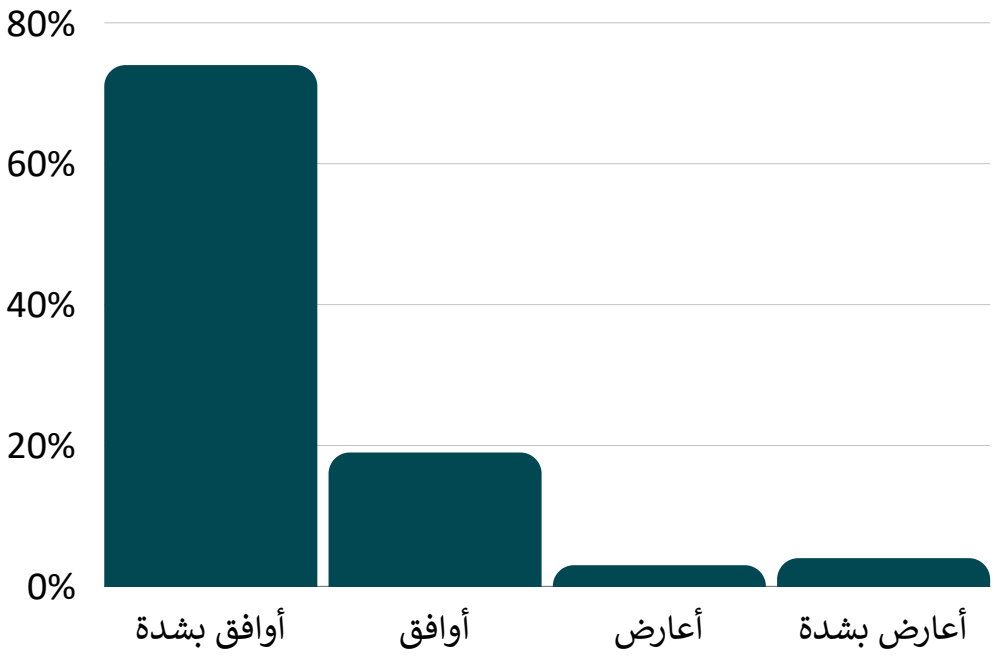

تشير هذه النتائج إلى أن معظم سكان الموصل الذين شملهم الاستطلاع لديهم شعور كبير بالفخر بالتراث الثقافي الغني للعراق.

ثم طُلب من المشاركين الإجابة على السؤال التالي: كم مرة قمت بزيارة المواقع التراثية التالية؟ وتم تزويدهم بستة خيارات تغطي نوعين من المواقع وثلاثة أماكن لها:

- المواقع الدينية: مسجد أو كنيسة أو مزار أو أي موقع ديني آخر.
- المواقع غير الدينية: متحف أو مبنى تاريخي أو موقع أثري يعود إلى ما قبل الإسلام.

- :المواقع المحلية: الموقع الأقرب أو الأكثر سهولة للوصول.
- المواقع في المدينة أو المحافظة: مواقع في جميع أنحاء الموصل ومحافظة نينوى.
- المواقع الوطنية: التراث خارج محافظتهم.

أكد غالبية المشاركين أن "المواقع المحلية الدينية" هي الأكثر زيارة (48%) وأن "المواقع الوطنية غير الدينية" نادراً ما تمت زيارتها أو لم تتم زيارتها على الإطلاق (79%). انظر الشكل 2.

الشكل 2. كم مرة قمت بزيارة المواقع التراثية التالية؟

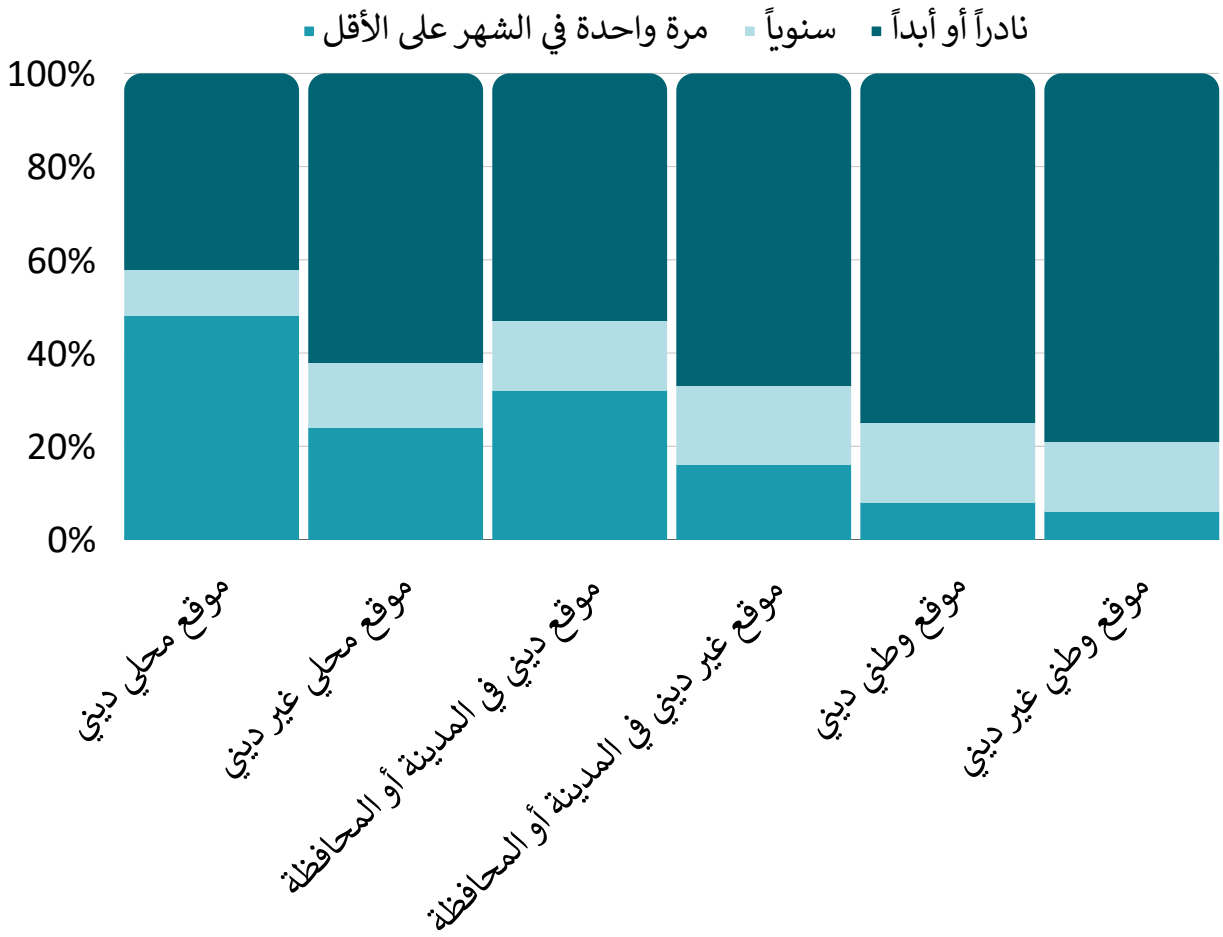

وبالمثل، عندما طُلب من المشاركين الرد على سؤال المتابعة: بالرغم من عدد مرات زيارتك، ما مدى أهمية المواقع التراثية التالية لك شخصياً؟ وبعد تقديم نفس الخيارات الستة، صنف السكان المحليون باستمرار "المواقع الدينية المحلية" كأكثر المواقع أهمية (98%) و"المواقع غير الدينية الوطنية" كأقلها أهمية لهم (82%). انظر الشكل 3.

الشكل 3. بالرغم من عدد مرات زيارتك، ما مدى أهمية المواقع التراثية التالية لك شخصياً؟

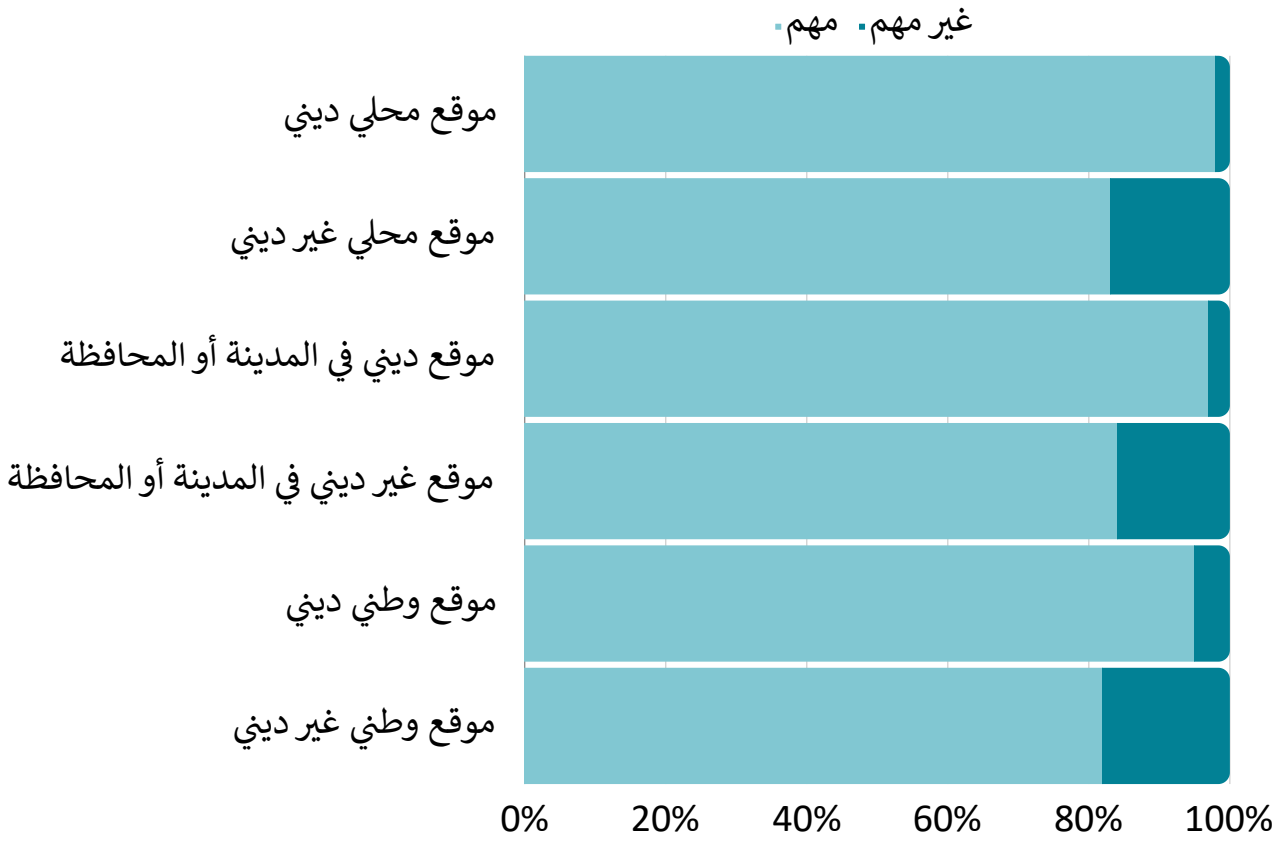

بشكل عام، المواقع الدينية هي الأكثر زيارة وتقديراً من قبل سكان الموصل مقارنة بالمواقع غير الدينية. مع أن المشاركين كانوا أكثر تفضيلاً لزيارة المواقع المحلية مقارنة بالمواقع الأبعد مسافة، إلا أن قرب أو بعد المواقع لم يؤثر على أهميتها، حيث احتلت المواقع الدينية باستمرار مرتبة أعلى من المواقع غير الدينية.

الجزء الثاني: كيف يفسر سكان الموصل تدمير تراثهم؟

سُئل المشاركون أيضاً: بشكل عام، كيف تصف مشاعرك عندما تم تدمير المواقع التراثية أثناء النزاعات الأخيرة؟ أشار جميع المشاركين تقريباً (99٪) إلى رد فعل سلبي، وأبدوا رفضهم للضرر المتعمد أو المرتبط بالنزاع الذي لحق بالمواقع التراثية من قبل تنظيم الدولة الإسلامية والجهات المسؤولة الأخرى. انظر الشكل 4.

الشكل 4. بشكل عام، كيف تصف مشاعرك عندما تم تدمير المواقع التراثية أثناء النزاعات الأخيرة؟

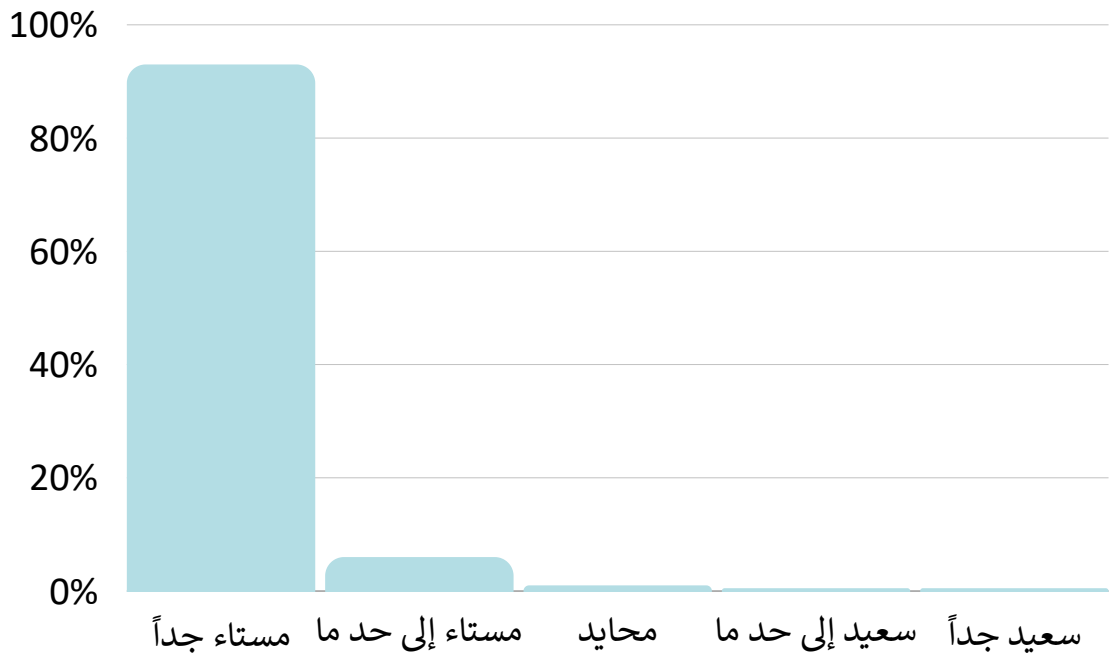

سعينا أيضاً إلى فهم ردود فعل المشاركين على التدمير وما إذا تأثرت بالاختلافات في أنواع المواقع وأماكنها.

لذلك سألنا: كيف كان رد فعلكم تجاه الأضرار والدمار الذي لحق بالمواقع التراثية التالية؟ وحددنا نفس الخيارات الستة للمواقع.

أشارت النتائج إلى أن المشاركين كانوا أكثر استياءاً بشكل هامشي من تدمير المواقع الدينية مقارنة بالمواقع غير الدينية بغض النظر عن مكان أي منها. انظر الشكل 5.

الشكل 5. كيف كان رد فعلكم تجاه الأضرار والدمار الذي لحق بالمواقع التراثية التالية؟

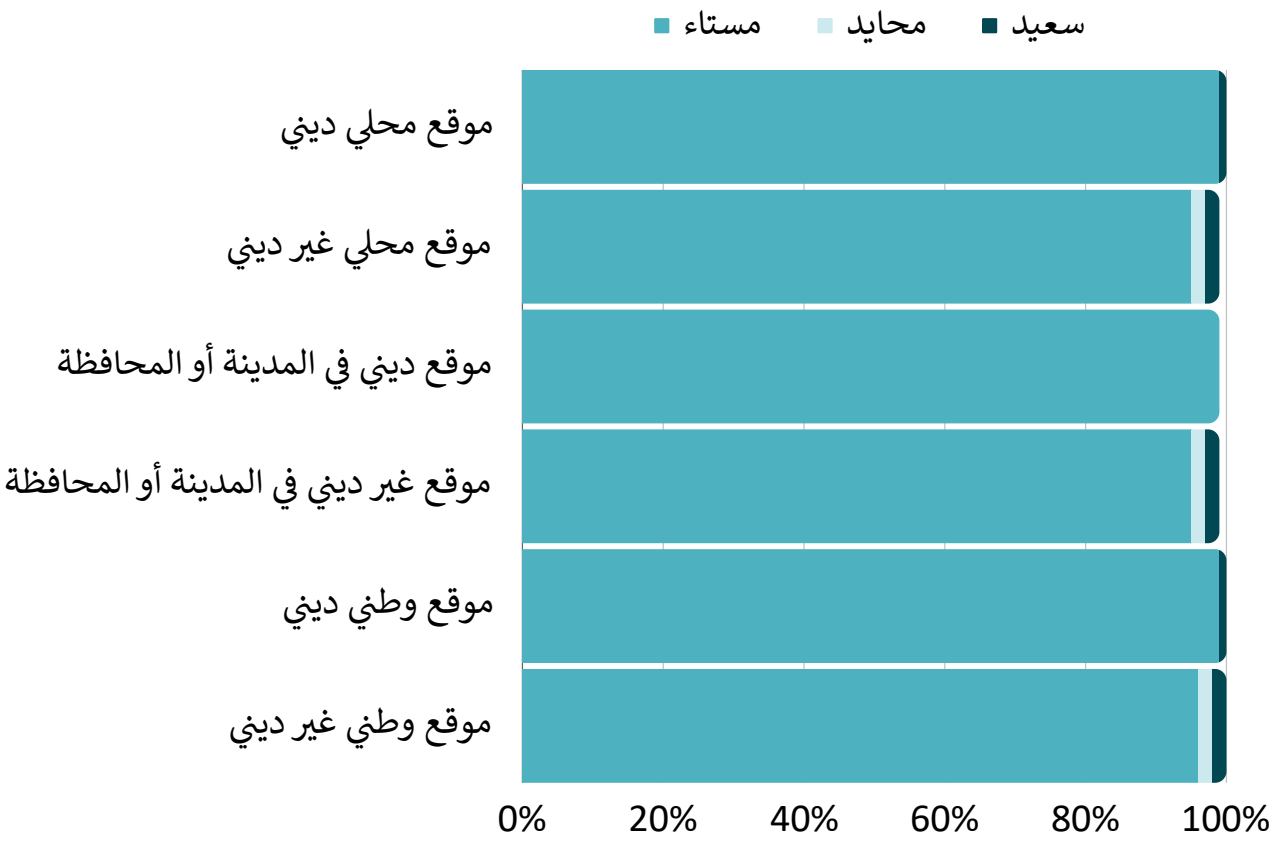

الجزء الثالث: كيف ينظر أهل الموصل إلى إعادة إعمار تراثهم؟

لتحديد درجة الأولوية المخصصة لإعادة إعمار التراث، سألنا المشاركين: إذا كان عليك اختيار ثلاثة فقط، أي مما يلي هي برأيك الأولويات الأكثر إلحاحاً لمستقبل العراق؟

ثم قدمنا لهم قائمة من 10 خيارات تعكس على نطاق واسع مجموعة من الاحتياجات الملحة التي تواجه سكان الموصل في مرحلة ما بعد داعش.

تشير النتائج إلى أن العدد الأكبر من المشاركين أراد إعطاء الأولوية ل"السلامة والأمن" (61%)، تليها "البطالة والفقر" (54%)، و"التعليم والمدارس" (52%)، و"المستشفيات والصحة والصرف الصحي". (48%). وحصلت "حماية التراث وإعادة إعماره" على دعم أقل بكثير (16%). انظر الشكل 6.

الشكل 6. إذا كان عليك اختيار ثلاثة فقط، أي مما يلي هي برأيك الأولويات الأكثر إلحاحاً لمستقبل العراق؟

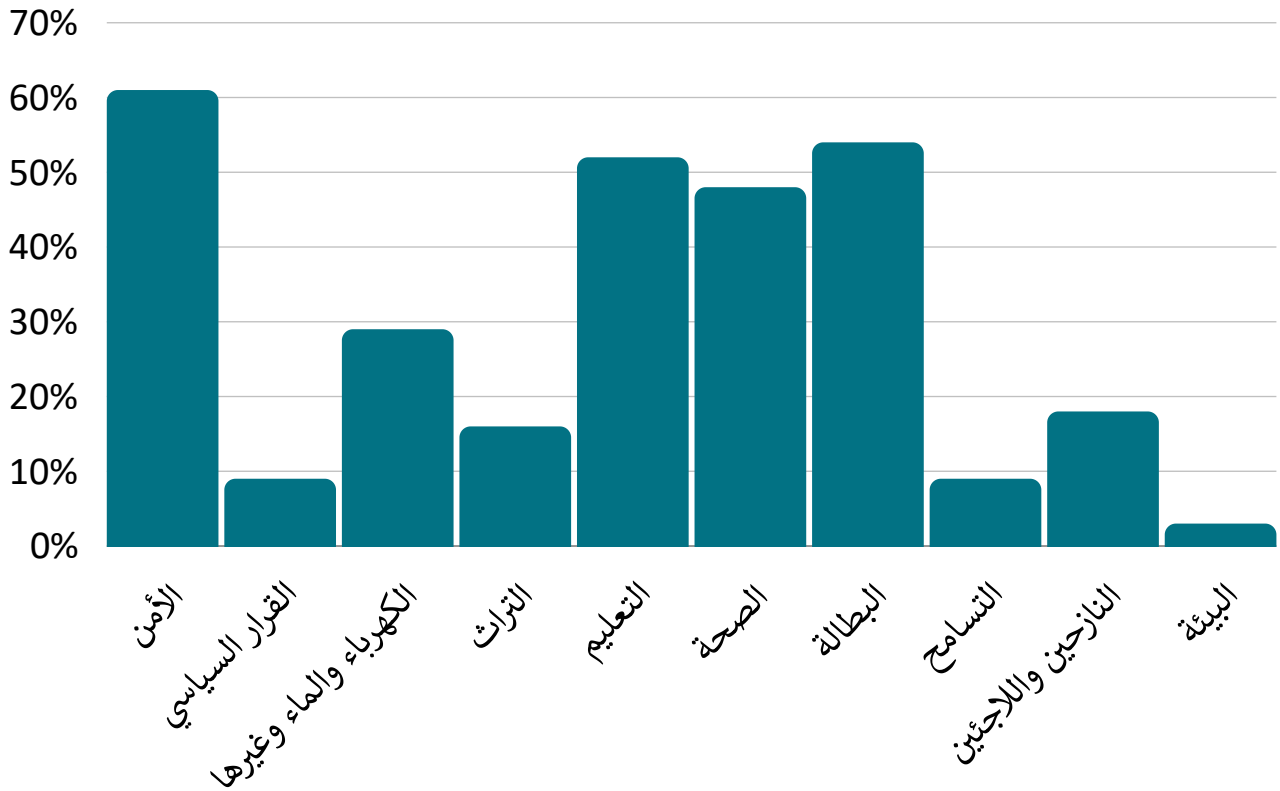

تدعو هذه النتائج إلى التشكيك في تمييز مشاريع إعادة إعمار التراث في جميع أنحاء الموصل من قبل مختلف المؤسسات متعددة الأطراف والمنظمات غير الحكومية الدولية والحكومات الأجنبية.

على الرغم من ذلك، عندما طُلب منهم الرد على البيان: يجب ترميم أو إعادة إعمار المواقع التراثية التي تضررت أو تدمرت أثناء النزاعات الأخيرة، وافق تقريباً جميع المشاركين من سكان الموصل (98٪) وأجاب عدد قليل فقط ب"أعارض" (2٪). انظر الشكل 7.

الشكل 7. هل توافق على العبارة التالية: "يجب ترميم أو إعادة إعمار المواقع التراثية التي تضررت أو تدمرت أثناء النزاعات الأخيرة؟"

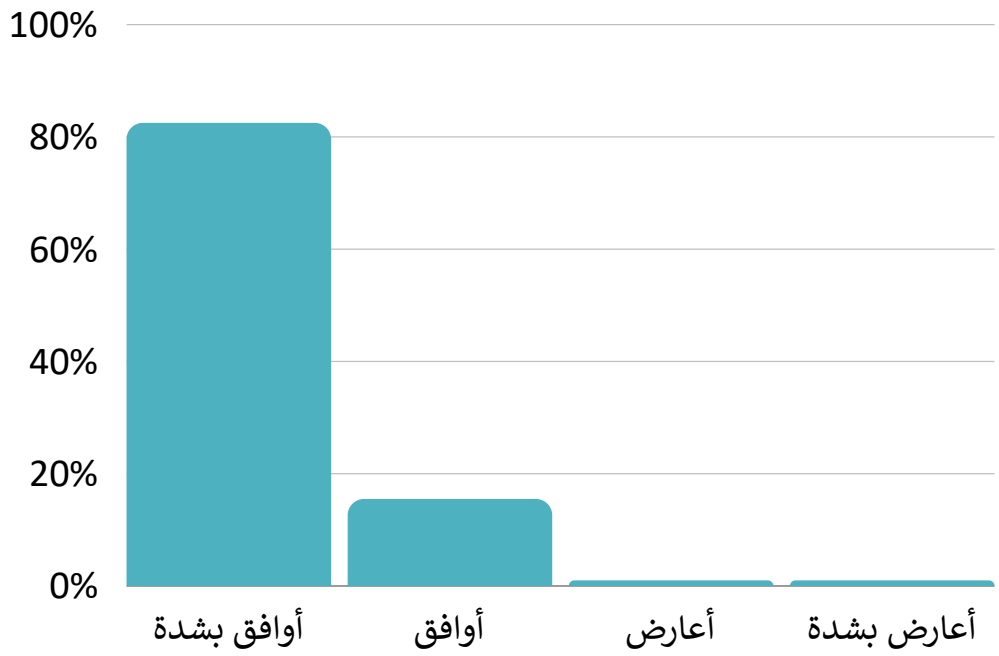

أخيراً، طرحنا على المشاركين سؤال متعدد الخيارات: ماذا تفضّل أن يحدث للمواقع التراثية التي تضررت أو تدمرت خلال الصراعات الأخيرة؟

كان الرد الأكثر شيوعاً هو أنه يجب ترميم المواقع وإعادة بنائها "إلى بناء جديد وأكثر حداثة" (48%)، يليه "إعادتها إلى ما كانت عليه عندما تم بناؤها لأول مرة" (22%) أو "إعادتها إلى حالتها قبل الحرب" (21%)، أو إصلاحها جزئياً على الأقل "لتصبح مفيدة مجدداً" (5%). انظر الشكل 8.

الشكل 8. ماذا تفضّل أن يحدث للمواقع التراثية التي تضررت أو تدمرت خلال الصراعات الأخيرة؟

الإجابة	%
أن لا تتم إعادة إعمارها	
عدم ترميم المواقع أو إعادة إعمارها وتركها على حالتها متضررة ومدمرة	<0.5%
عدم ترميم المواقع أو إعادة إعمارها بل تطويرها إلى مرافق جديدة تماماً	4%
أن تتم إعادة إعمارها	
ترميم المواقع جزئياً وإعادة إعمارها لتصبح مفيدة مجدداً	5%
ترميم المواقع وإعادة إعمارها إلى حالتها قبل الحرب	21%
ترميم المواقع وإعادة إعمارها إلى ما كانت عليه عندما تم بناؤها لأول مرة	22%
ترميم المواقع وإعادة إعمارها إلى بناء جديد وأكثر حداثة	48%

على الرغم من عدم وضع إعادة الإعمار ضمن أولويات الموصل الأكثر إلحاحاً في أعقاب تنظيم داعش والأزمات المستمرة التي تواجه العراق منذ منتصف عام 2014، إلا أن جميع المشاركين تقريباً كانوا يؤيدون إعادة إعمار المواقع بشكل عام.

وبشكل أخص، كانت هناك مستويات عالية من الدعم للمشاريع التي تهدف إلى تحويل المواقع التراثية إلى مساحات أكثر حداثة يمكن الاستفادة منها في المستقبل.

الجزء الرابع والجزء الخامس: ما هو دور الجهات الفاعلة الوطنية والدولية من وجهة نظر شعب الموصل؟

كما طرحنا على المشاركين مجموعة من الأسئلة المصممة لقياس مستوى دعمهم للمشاريع المحلية والدولية للتراث في الموصل.

لذلك سألنا: باعتقادك، ما هي الجهة الفاعلة التي بذلت أكبر مجهود لترميم أو إعادة إعمار المواقع التراثية في أنحاء العراق؟ وزودنا المشاركين ب14 خياراً مختلفاً بدءاً من "العراقيين العاديين" ووصولاً إلى الجهات الفاعلة الأجنبية.

أقر المشاركون بشكل بارز بالأدوار التي تلعبها المنظمات غير الحكومية الدولية مثل أَلِف والصندوق العالمي للآثار والتراث (38%)، تليها المنظمات العالمية الرئيسية مثل اليونسكو (17%)، ودول الخليج (8%). كانت الحكومات الغربية (بما في ذلك المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية) هي الأقل ذكراً (2%)، وبالتالي يُنظر إليها على أنها لعبت دوراً أصغر من الحكومة العراقية (13%) أو العراقيين العاديين (8%). انظر الشكل 9.

ثم طلبنا منهم الرد على سؤال المتابعة: إذا كان عليك اختيار واحدة فقط، ما الجهة التي برأيك يجب أن يعهد إليها بأعمال الترميم وإعادة الإعمار للمواقع التراثية؟

هنا فضّل عدد كبير من المشاركين الحكومة العراقية (48%) أو العراقيين العاديين (14%) على المنظمات غير الحكومية الدولية (16%) والمنظمات العالمية (8%) ودول الخليج (6%) - مع أدنى مستوى من الدعم للحكومات الغربية (2%). انظر الشكل 9.

الشكل 9. باعتقادك، ما هي الجهة الفاعلة التي بذلت أكبر مجهود لترميم أو إعادة إعمار المواقع التراثية في أنحاء العراق؟ إذا كان عليك اختيار واحدة فقط، ما الجهة التي برأيك يجب أن يعهد إليها بأعمال الترميم وإعادة الإعمار للمواقع التراثية؟

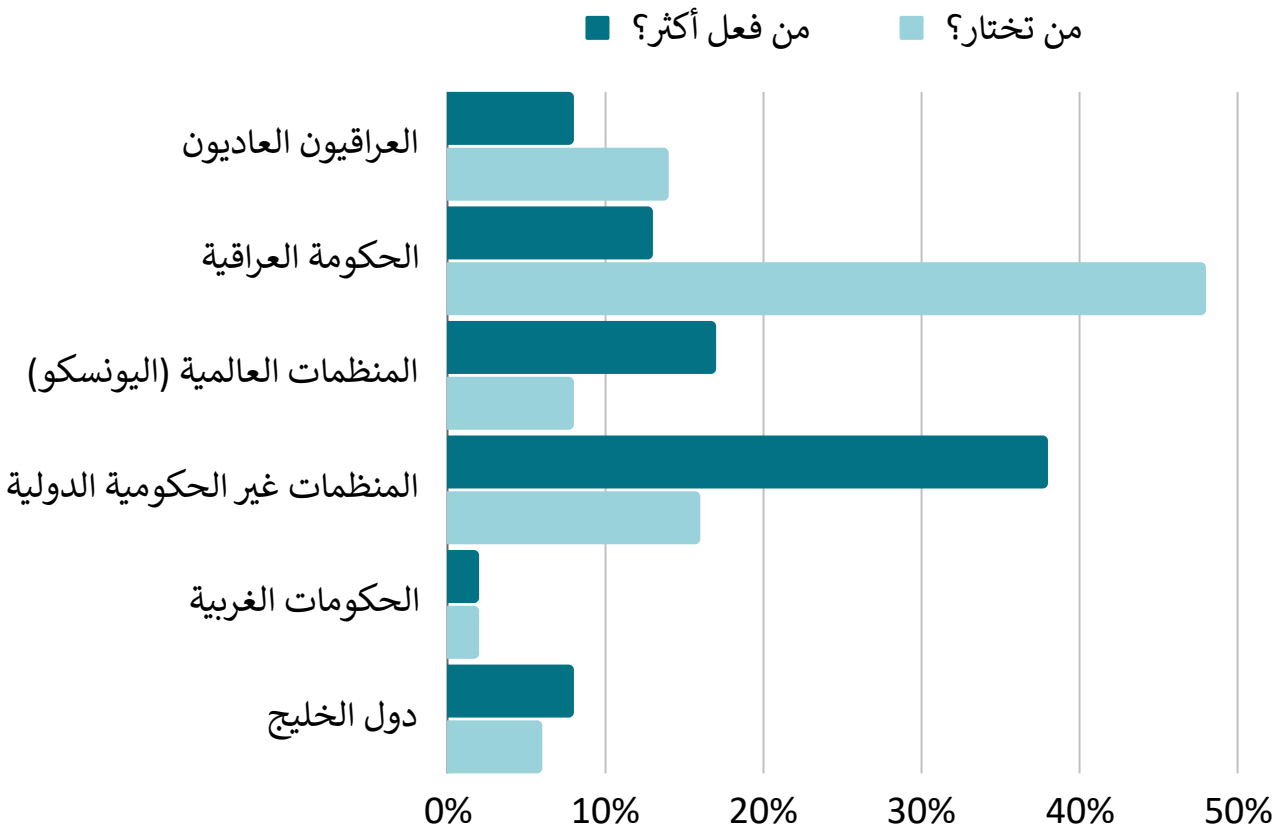

كما سعى الاستطلاع إلى لفت النظر لآراء سكان الموصل حول إنجازات "الحكومة العراقية" و"الجهات الفاعلة الدولية" وما إذا كان كل منهم يبذل جهد كافي من أجل: تعزيز التراث وتثقيف الناس حول التراث الغني لهذا البلد؛ وترميم وإعادة إعمار المواقع التراثية بعد النزاع؛ والتواصل مع أبناء الشعب العراقي والاستماع إلى أفكارهم وآرائهم حول التراث.

هنا، كان الرأي السائد باستمرار هو أن أداء الجهات الفاعلة الدولية كان أفضل (72%، 67%، و60% على التوالي) من أداء الحكومة العراقية (58%، 49%، و43% على التوالي). انظر الشكل 10.

الشكل 10. تبذل الحكومة العراقية والجهات الفاعلة الدولية جهد كافي من أجل: تعزيز التراث وتثقيف الناس حول التراث الغني لهذا البلد؛ وترميم وإعادة إعمار المواقع التراثية بعد النزاع؛ والتواصل مع أبناء الشعب العراقي والاستماع إلى أفكارهم وآرائهم حول التراث وتدميره وإعادة إعماره.

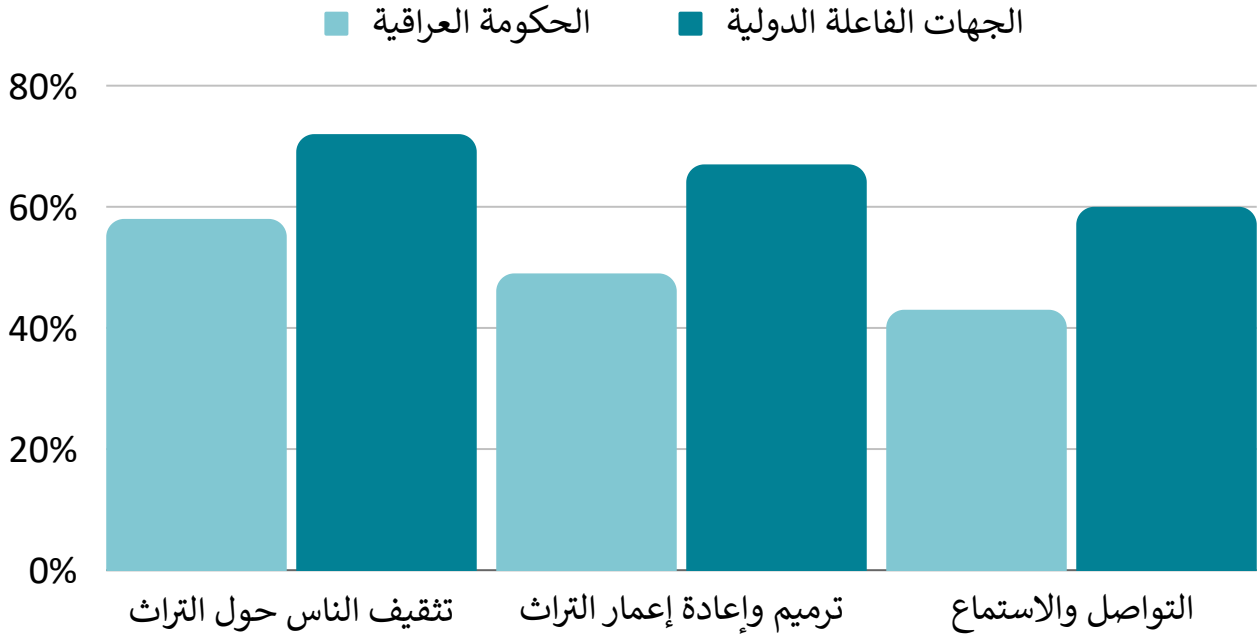

كشف الجزآن الرابع والخامس معاً أنه على الرغم من أن برامج التراث التي تقودها الجهات الدولية تعتبر بشكل عام أفضل من تلك التي تقودها الحكومة العراقية، من ناحية تثقيف الناس حول التراث وإعادة الإعمار والاستماع إلى الشعب العراقي، إلا أن معظم المشاركين في الاستطلاع ما زالوا يفضلون أن يُعهد بهذه المشاريع إلى الحكومة العراقية والعراقيين العاديين في المستقبل.

التوصيات

1) إعادة إعمار التراث ليست الأولوية الرئيسية

في ضوء الفقر والعنف والقمع الذي عانى منه سكان الموصل لعقود متواصلة، ليس من المُفاجئ أن المشاركين في الاستطلاع لم ينظروا إلى التراث كالأولوية الرئيسية. ومن المتوقع أن معظم المشاركين في الاستطلاع كانوا أكثر اهتماماً بتأمين التحسينات في مجالات الأمن والتعليم والتوظيف والصحة.

عرض موسيقي حي في حمام المنقوشة في مدينة الموصل القديمة
(بكر العزاوي/شترستوك، أيار 2021)

أكدت اليونسكو أن مشروعها "إحياء روح الموصل" سيساهم "في تحقيق المصالحة وبناء السلام ضمن المجتمع المحلي عن طريق إنعاش البيئة المعيشية وإعادة تأهيل مواقع التراث في المدينة" (اليونسكو: بدون تاريخ).

يمكن لليونسكو والجهات الخارجية الأخرى معالجة هذه المشكلة من خلال تأكيد تعاونها مع المنظمات الإنسانية، لضمان تنفيذ هذه الجهود بشكل يتماشى مع النطاق الأوسع للاحتياجات الإنسانية والأمنية واحتياجات البنية التحتية التي يواجهها سكان الموصل.

كما يجب عليهم التأكد من مشاركة المجتمعات المحلية بشكل مباشر في تخطيط وتنفيذ مبادرات إعادة إعمار التراث. ونظراً لتعقيد التحديات التي تواجه سكان الموصل، فإن هذه التدابير ضرورية لمنع تهميش أجندات التنمية الأخرى لصالح الاستثمار في التراث فقط.

وهي مهمة أيضاً إذا أردنا تحقيق تقدم ملموس ودائم في التغلب على التوترات المحلية، بدلاً من الاعتماد ببساطة على القيمة الرمزية لإعادة إعمار المواقع التراثية كبادرة سلام.

2) عدم التغاضي عن المواقع التراثية المحلية أو الدينية

أظهر الاستطلاع أيضاً أن سكان الموصل كانوا أكثر ميلاً لزيارة المواقع المحلية والدينية وأكثر تقديراً لها من المواقع الأبعد مسافة أو التي لا تحمل أهمية دينية.

الجزء الداخلي من كنيسة أرمنية تم تدميرها أثناء احتلال داعش للموصل
(جول كاريليت/آي ستوك)

أشار أغلبية المشاركين إلى أن تدمير المواقع الدينية المحلية بالأخص كان حدث سلبي للغاية، وبالتالي، أعربوا عن رغبتهم في إعادة إعمار هذه المواقع.

وهذا يدل على أن سكان الموصل لديهم أولويات مختلفة عن مشاريع التراث المتعددة التي تنفذها الجهات الأجنبية في مختلف أنحاء المدينة والمناطق المحيطة بها.

حيث تميل هذه المشاريع إلى التركيز على المواقع الشهيرة البارزة التي يصعب الوصول إليها (مثل الجامع الكبير النوري) أو المواقع غير الدينية (مثل متحف الموصل). إن التركيز على هذه الأنواع من المواقع، والتي يقال أن سكان الموصل نادراً ما يزورونها وأن لها أهمية أقل في حياتهم اليومية، يثير تساؤلات حول مدى فعالية تخصيص الموارد في إدارة التراث.

إن الاستثمارات الضخمة في مشاريع لا تتماشى مع أولوية إعادة تأهيل المواقع المحلية والدينية، التي عبر عنها المشاركون في الاستطلاع، تدل على تجاهل المبادرات الأكثر فعالية من حيث التكلفة والتي تحمل إمكانات إيجابية أكبر.

يمكن للحكومات الدولية والمؤسسات متعددة الأطراف والمنظمات غير الحكومية الدولية الاستفادة من التشاور مع المجتمعات المتضررة من تدمير التراث، بما في ذلك سكان الموصل، للحصول على صورة مقربة للمواقع المحلية و/أو الدينية التي كانوا يزورونها بشكل متكرر والتي تحمل قيمة كبيرة بالنسبة لهم بفضل أهميتها الشخصية والمجتمعية والروحية.

3) "أصالة" أقل ومرافق أكثر حداثة

كما بيّن لنا هذا الاستطلاع تفضيل سكان الموصل بشكل واضح لتحويل المواقع والأبنية المتضررة إلى مساحات جديدة يمكن لأفراد المجتمع استخدامها والاستمتاع بها، بدلاً من ترميم المباني لإعادتها إلى حالتها التاريخية أو حالتها ما قبل الحرب.

وهذا يتناقض مع العديد من المشاريع التراثية الجاري تنفيذها حالياً في الموصل، والتي تسعى إلى استعادة "الأصالة" التاريخية والأثرية للمواقع.

منارة الحدباء في الجامع الكبير النوري بالموصل، التي يبلغ ارتفاعها 45 متراً، قبل تدميرها في عام 2017 (أحمد كوس/آي ستوك، كانون الثاني 2012)

لذلك، يجب على الجهات الأجنبية المشاركة في إعادة إعمار التراث في الموصل أن تسعى لتحقيق التوازن بين الحفاظ على الأصالة التاريخية للمواقع وتوفير مساحات حضرية عملية وذات معنى لمجتمع يفتقر إلى البنية التحتية العامة.

4) منح العراقيين حق التحكم في مستقبل تراثهم

على الرغم من التمويل الكبير الذي قدمته الجهات الأجنبية وقصص النجاح العديدة الجديرة بالذكر، لا يزال هناك حد من الإشكالية حول القدر العالي من المشاركة الدولية في تحديد منحى إعادة إعمار التراث.

في حين أقر المشاركون في الدراسة بالأدوار المهمة التي تلعبها المنظمات غير الحكومية الدولية (مثل ألِف والصندوق العالمي للآثار والتراث) والمنظمات العالمية (مثل اليونسكو)، فقد عبّروا أيضاً عن رغبتهم في السيطرة المحلية على مشاريع التراث المستقبلية.

وبشكل أكثر تحديداً، بالإضافة إلى رغبتهم في تقليص دور الجهات الخارجية، أبدى سكان الموصل أقل قدر من الدعم للمشاركة الثنائية من دول الغرب، تليها دول الخليج.

وبالنظر إلى أن هذه الحكومات قد تعهدت بالتزامات كبيرة لإعادة إعمار المواقع في مختلف أنحاء المدينة، فإن هذا النقص في التأييد يسلط الضوء على مدى أهمية الشراكات المحلية والانخراط المجتمعي وتأثيرهما على الطرق التي يتلقى بها السكان المحليين المشاريع التراثية.

كنيسة مسيحية تحولت إلى مركز تدريب لتنظيم الدولة الإسلامية في مدينة بخديدا بالقرب من الموصل (لينا ها/شترستوك)

يجب على الجهات الأجنبية العاملة في الموصل أن تدرك وتعترف برغبة المواطنين في تحمّل الدولة العراقية والعراقيين العاديين المسؤولية التامة عن حماية وإعادة إعمار تراثهم في أعقاب الأضرار والدمار الذي أحدثه تنظيم الدولة الإسلامية وغيره.

الخاتمة

قام هذا التقرير بتوثيق نتائج استطلاع أصلي للرأي العام للموصل في مرحلة ما بعد داعش. بشكل محدد، وثّق الاستطلاع آراء المشاركين حول تدمير التراث على يد تنظيم الدولة الإسلامية وجهات مسببة أخرى، والمشاريع العديدة التي تقودها جهات أجنبية لإعادة إعمار المواقع التاريخية الرئيسية في مختلف أنحاء المدينة.

وقد قام الاستطلاع بتسليط الضوء على ميل الجهات الفاعلة الخارجية إلى الاعتماد على افتراضات حول علاقة الموصليين بتراثهم وإدراكهم لتدمير التراث ونظرتهم إلى إعادة إعماره.

القبة البيضاء والخضراء لجامع الباشا في مدينة الموصل القديمة
(ليفي مير كلانسي/أونسبلاش)

والأهم من ذلك، شكك الاستطلاع كلياً في فكرة دعم العراقيين ضمنياً لتدخلات الخبراء والمنظمات الخارجية في تخطيط وتنفيذ مشاريع إعادة الإعمار.

أظهرت بيانات الاستطلاع: الفخر الكبير الذي يكنه سكان الموصل تجاه التراث الثقافي الغني والمتنوع لبلدهم؛ وتضررهم وحزنهم من تدمير مواقعهم التراثية؛ ودعمهم الكبير لإعادة إعمار التراث.

علاوة على ذلك، كشف المشروع عن أربعة مجالات محورية مرتبطة بمشاريع التراث الحالية والمستقبلية التي تقودها الجهات الفاعلة الدولية. حظيت مشاريع إعادة إعمار المواقع التراثية بدعم المشاركين عموماً، خاصة عندما يتم تنفيذها بالتعاون مع الحكومة العراقية وإشراك العراقيين بشكل فعال.

إلا أن الفشل في التفاعل مع الرأي العام فيما يخص قضايا التراث في الموصل ما بعد الصراع أدى إلى مواجهة مشاريع إعادة الإعمار لمشاكل كبيرة في الكثير من الأحيان.

قد تخاطر المشاريع التراثية بتكرار الأخطاء السابقة ما لم يتم اتخاذ إجراءات تصحيحية لإعادة التركيز على ملاحظات ومخاوف ورغبات سكان الموصل المحليين.

- أولاً، أشارت النتائج إلى أن معظم سكان الموصل لا يرغبون في إعطاء الأولوية لجهود الحفاظ على التراث و/أو إعادة إعماره على حساب مبادرات التنمية وبناء السلام الملحة أو على حساب الاحتياجات الإنسانية العاجلة.

- ثانياً، يأمل المشاركون بإعادة إعمار مواقعهم الدينية المحلية بدلاً من التركيز فقط على المواقع المعروفة عالمياً والتي يُنظر إليها على أنها أكثر أهمية نظراً لقيمتها التاريخية أو الأثرية أو المعمارية.

- ثالثاً، أشار غالبية سكان الموصل إلى أن رؤيتهم للمستقبل تتضمن تحويل المواقع إلى مساحات أكثر حداثة وعملية يمكن للمجتمع أن يستفيد منها على المدى الطويل.

- وأخيراً، دعت الأغلبية الساحقة من أهالي الموصل إلى منح الدولة العراقية والمواطنين العراقيين قدراً أكبر من الوكالة والمشاركة والسيطرة، بدلاً من المنظمات والحكومات الخارجية التي تحدد مستقبل تراثهم.

أطلال مرقد النبي يونس في الموصل، المعروف أيضاً باسم ضريح النبي يونس، والذي دمره تنظيم الدولة الإسلامية (جول كاريليت/آي ستوك، أيار 2017)

سيكون من الجيد للجهات الفاعلة الدولية أن تأخذ هذه النتائج في عين الاعتبار، وأن تتأكد من التفاعل بشكل أكثر جدية مع السكان المحليين والاستماع إليهم أثناء العمل المستمر في الموصل وغيرها من الأماكن التي يسعون إلى حماية تراثهم وإعادة إعماره.

تاريخياً، عندما يتم إهمال الاهتمامات المحلية في ممارسات الحفاظ على التراث وإدارته، تصبح المجتمعات البشرية ومواقع تراثها أكثر عرضة لمزيد من المعاناة وعدم المساواة والأذى المتعمد، مما يعيق التقدم نحو السلام والاستقرار.

نأمل أن تساعد محتويات هذا التقرير في نشر الوعي حول أهمية التراث الثقافي الغني للموصل وحاجة المدينة إلى مبادرات مستقبلية تسعى إلى حماية مواقعها الفريدة والمتنوعة والحفاظ عليها، وأهمية أن تكون الجهة المنفذة مدركة وحساسة لتوقعات ووكالة الموصليين أصحاب التراث الذي تسعى إلى إعادة إعماره.

الملاحظات الختامية

[1] ينوّه المؤلفون بأن حاصلات الإحصاءات المقدمة في الرسوم البيانية والجداول الواردة في هذا التقرير لا تصل دائماً إلى 100% بالضبط. وذلك إما لأن بعض المشاركين أجابوا ب"لا أعرف"، أو رفضوا الإجابة على سؤال محدد، أو بسبب تقريب النسب المئوية إلى أقرب رقم صحيح.

[2] يشير المؤلفون إلى أن هذا البحث يشمل الطلاب والأفراد غير العاملين رسمياً، ولكنهم يشاركون في العمل المنزلي مثل رعاية الأطفال و/أو كبار السن، و/أو مسؤولين عن عدداً من الواجبات المنزلية.

[3] يشير المؤلفون إلى أنه تم جمع بعض الإجابات معاً لسهولة العرض (على سبيل المثال، "نادراً" و"أبداً" قد تصبح "نادراً أو أبداً").

المراجع

المتحف البريطاني. (بدون تاريخ) مخطط العراق. لندن: المتحف البريطاني.

التحالف الدولي لحماية التراث في مناطق النزاع (أَلِف). (بدون تاريخ) المشروع (المشاريع) المدعومة في العراق. جنيف: أَلِف.

جونسون ج. س.، غازي ز.، هانسون ك.، وآخرون. (2020) مشروع إنقاذ آثار النمرود. دراسات في الحفظ 65: 160-165.

كورين ر. (2021) المتحف الثقافي العراقي في الموصل يسير على طريق التعافي. مجلة سميثسونيان، 19 شباط. متاح على:
https://www.smithsonianmag.com/smithsonian-institute/iraqs-/mosul-culture-museum-road-recovery-180977027

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو). (2018) اليونسكو تطلق مبادرة رائدة لإحياء روح الموصل. مركز التراث العالمي لليونسكو: الأخبار. متاح على:
https://whc.unesco.org/en/news/1783

اليونسكو. (بدون تاريخ) إحياء روح الموصل. اليونسكو بغداد. متاح على:
https://www.unesco.org/en/revive-mosul

شكر وتقدير

يود فريق البحث أن يشكر المشاركين الذين قدموا وقتهم ومساهمتهم القيمة بسخاء.

نتائج الاستطلاع الكاملة متوفرة أيضاً في مقالة المؤلفين الخاضعة لمراجعة النظراء: عيسى خان، ب. ومسكيل، ل. (2023) إعادة إعمار الموصل: الرأي العام حول إعادة إعمار التراث بقيادة أجنبية. التعاون والصراع. [https://doi.org/10.1177/00108367231177779].

يمكن العثور على مزيد من المعلومات على موقع مشروع "ما بعد الدولة الإسلامية": https://web.sas.upenn.edu/afterislamicstate/

نود أن نعرب عن شكرنا وتقديرنا للأوصياء الأصليين على الأراضي غير المتنازل عنها والتي يقع عليها حرم جامعة ديكن: شعب واداوورونغ، وشعب بون وورونغ، وشعب ووروندجيري، وشعب غونديتجمارا.